

خطبه الجمعة - الخطبة ٠١١٨ : لولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ١٩٨٦-٠٢-٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

الخطبة الأولى :

الحمد لله له ما في السماوات وما في الأرض ، وله الحمد في الآخرة ، وهو الحكيم الخبير .
الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .
الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا .
عبدٌ وقف بين يدي ربه يناجيه ، فقال : يا رب لقد عصيتك ولم تعاقبني . فوقع في قلبه أن يا
عبدي قد عاقبتك ولم تدر ، ألم أحرمك لذة مناجاتي ؟
هذا الذي يعصي الله ويظن أن شيئاً لم يُصبه من جرّاء هذه المعصية ، لقد فاتته أنه ضيّع على
نفسه الشيء الكثير ؛ أن لذة القرب فاتته ، أن لذة المناجاة فاتته ، أن لذة السعادة في الإقبال على
الله نويت عنه .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، إقراراً بربوبيته وإرغاماً لمن جحد به وكفر .
قال الله تعالى في كتابه الكريم :

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا
إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

[سورة الزمر الآية : ٥٣]

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، وصفيّه وخليله ، أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، ونصح
الأمة ، وكشف الغمّة ، وجاهد في الله حق الجهاد .
اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وأصحابه ، الطيبين الطاهرين ، الهداة
المهديين ، الذين أحبّوه حباً ما أحبه أحدٌ لأحد .
قال أبو سفيان : ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمدٍ محمداً .
اللهم اغفر ذنوبنا ، واستر عيوبنا ، واقبل توبتنا ، وفك أسرنا ، وأحسن خلاصنا ، وتولى أمرنا ،
وبلغنا مما يرضيك آمالنا ، واختم بالصالحات أعمالنا .
اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم .

حقائق المصائب :

أيها الإخوة المؤمنون ؛ في سورة القصص آيةً بليغة المعنى ، دقيقة المؤدّى ، يقول الله سبحانه
وتعالى :

﴿ وَلَوْ أَن تَصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ أَنَا رَسُولًا فَتَنَّبَعِ آيَاتِكَ
وَتَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

يُستنتب من هذه الآية حقائق عدّة .

١- ما من مصيبة تقع إلا بما قدمت أيدي الناس :

الحقيقة الأولى : أنه ما من مصيبة تقع في الأرض إلا بما قدمت أيدي الناس ..

﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾

[سورة الكهف الآية : ٤٩]

﴿ وَلَا تَظْلُمُونَ فَتِيلًا ﴾

[سورة النساء الآية : ٧٧]

﴿ وَلَا يَظْلُمُونَ نَقِيرًا ﴾

[سورة النساء الآية : ١٢٤]

((إني حرّمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا))

[صحيح مسلم]

﴿ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾

[سورة هود الآية : ٥٦]

أول استنباط من هذه الآية :

﴿ وَلَوْ أَن تَصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

المصيبة لا تقع في الأرض إلا بذنوب العباد ..

﴿ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَأَمَّنْتُمْ ﴾

[سورة النساء الآية : ١٤٧]

ما أصاب عبداً مصيبةً إلا بإحدى خلتين ؛ بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بتلك المصيبة ، أو بدرجة لم يكن الله ليبلغها إياه إلا بتلك المصيبة ، هذا هو الاستنباط الأول :

﴿ وَلَوْ أَن تَصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

٢- المعاتب :

الاستنباط الثاني : لو أن الله سبحانه وتعالى لم يرسل هذه المصيبة ، لم يضيق هذا التضيق ، لم يبعث بهذا المرض ، لم يشدد في دخل الإنسان ، لو كان في بحبوحة ، وكان في صحة ، وكان غارقاً في ملذّاته ، وكان منحرفاً ، ولم يسق الله له شيئاً ؛ لا نفسياً ، ولا جسماً ، ولا مادياً ، ولا معنوياً ، وبقي في بحبوحة ، وبقي في يسر ؛ وظلّ غافلاً عن الله عز وجل ، وظلّ غارقاً في لذّته

، وظل نائهاً في سيرته ، وظل على هذه الحال إلى أن وافته المنية ، ما موقف هذا العبد من الله عز وجل ؟ إنه موقف المعتاب ، إنه يعاتب ربه ، يقول : يا رب كنت نائهاً ، كنت ضالاً ، كنت جاهلاً ، كنت غائطاً في شهواتي ، لم لم تذكرني بمصيبة ، لم لم تتبهنني بمشكلة ، لم لم تضيق علي ، أنت العليم الحكيم ، أنت أرحم الراحمين ، لولا أن تصيب الناس مصيبة بما قدمت أيديهم لكان لهم عتاباً يوم القيامة ، وهاهو ذا العتاب ..

﴿ وَلَوْأَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

لو أن ابناً اختار طريقاً غير صحيح ، والأب وافقه على هذا الطريق ؛ ولم ينصحه ، ولم يرده ، ولم يبين له ، ولم يضيق عليه ، ولم يعنفه ، ولم يزرجه ، ولم يضربه ، إذا كبر هذا الطفل وصار شاباً ، ورأى زملاؤه في مراتب عليّة وهو في أدنى السلم ، عندئذ ينشأ في نفسه عتاب كبير كبير ، يقول لأبيه : يا أبت ، أنت أعلم مني لم لم تتصحنني ، لم لم تزجرني ، لم لم تردعني ، لم لم تضيق علي ..

﴿ وَلَوْأَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

لولا ذلك :

﴿ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

بعض العلماء جعل هذه الآية حجة على أن الفكر الذي وهبنا الله إياه يكفي لمعرفة الحق من الباطل ، وأن هذه المصائب ما هي إلا نوع من التنبيهات ، ما هي إلا رسل من نوع آخر تخاطب عقل الإنسان ، تقول : يا إنسان الله غني عن تعذيبك ، ما هذا التعذيب إلا تذكير ، إلا حصر ، إلا إثارة ، إلا لفت نظر ..

﴿ وَلَوْأَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

لم يقل الله عز وجل :

ربنا لولا أرسلت إلينا مصيبة .

بل بدل المصيبة بالرسول .

بمعنى أن المصيبة نوع من أنواع الرسل ، إنه بالمرض يذكر العبد ، إنه بالفقر يذكره ، إنه بالضيق المادي يبعث في نفسه التذكير ..

﴿ وَلَوْأَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَنْبَعِ آيَاتِكَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

يؤكد هذه الآية قوله تعالى :

﴿ فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾

[سورة الأنعام الآية : ١٤٧]

أي تقتضي رحمة الله الواسعة ألا يردّ بأسه عن أولئك الذين لا عمل لهم ، أولئك الذين غرقوا في المعاصي ، أولئك التائهون ، أولئك الشاردون ، أولئك الغافلون ، لا يقع واقع في الأرض إلا بحكمة بالغة ، وتقدير دقيق ، وكان أحد العارفين بالله كلما أصابته مصيبة يقول : ذلك تقدير العزيز العليم .

لا تقل : لو أني فعلت كذا وكذا ، ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل ، فإن كلمة لو تفتح عمل الشيطان .

إتباع الهوى :

الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٥٠]

إن لم يستجيبوا لك ويتوبوا إلى الله ، فاعلم أنما يتبعون أهواءهم ، وليس في الأرض رجل أشد ضللاً ممن جعل إلهه هواه ، وليس في الأرض رجل أشد ضللاً ممن قادته نفسه الأمارة بالسوء ، ممن كان مُنقاداً لنفسه ، ممن جعل هواه هدفاً كبيراً في حياته .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ إشارة دقيقة في هذه الآية :

﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ ﴾

[سورة القصص الآية : ٥٠]

فهل هناك إتباع للهوى بهدى من الله ؟

بعضهم قال :

حينما يختار الإنسان الطريق الشرعي في الزواج ، هذا عمل مشروع .
وحينما يكسب الإنسان المال من طريق مشروع ، فانه يرضى عنه .
ولكن الانحراف أن تميل مع الهوى من دون هدى من الله سبحانه وتعالى .
أن تميل مع الهوى على حساب الآخرين .

أن تميل مع الهوى وتعتدي على حقوق الآخرين .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ آيات من سورة القصص :

﴿ وَلَوْ لَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٥٠]

إذاً لو كشف الغطاء لاخترتم الواقع ، ولو كشف الغطاء لا يزداد المؤمن يقيناً ، بل يقينه قبل كشف الغطاء ، كيقينه بعد كشف الغطاء .

﴿ وَأَخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[سورة يونس الآية : ١٠]

والرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين ، وعلامة الهدى الاستجابة ..

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ﴾

[سورة الأنفال الآية : ٢٤]

﴿ فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ ﴾

[سورة القصص الآية : ٥٠]

* * * * *

السنة المطهرة :

أحاديث تبدأ بـ لو تعلمون..... :

أيها الإخوة الأكارم ؛ إلى السنة المطهرة ، أحاديث شريفة عدّة تبدأ بقوله عليه الصلاة والسلام :

((لو تعلمون))

النبي عليه الصلاة والسلام أعلم البشر بالله عز وجل قال :

((أخشاكم لله أنا))

[الجامع لأحكام القرآن]

أوتي من العلم ما لم يؤت أحدٌ من العالمين ، يقول عليه الصلاة والسلام :

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

[الجامع الصغير]

لو تعلمون ما ادخر لكم بعد الموت ، لو تعلمون ما ادخر لكم من نعيم مقيم ، من جناتٍ عرضها كعرض السماوات والأرض ، لو تعلمون ما ادخر لكم مما لا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، لو تعلمون طبيعة الجنة ، وما فيها من سعادة أبدية ، لو تعلمون مقدار الطمأنينة والسرور الذي يحصله المؤمن بعد الموت .

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

[الجامع الصغير]

زوي عنه المال فهو في غمٍ وحزنٍ ، إنه جاهل ، لو يعلم ما عند الله من سعادة لما حزن على فوات المال ، لقد فاتته المرأة الصالحة ، أو فاتته المرأة التي تروق له ، فهو يندب حظّه ليل نهار .

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

[الجامع الصغير]

فاتته هذه الشهادة فلم يحصلها ، حصلها زملاؤه وارتقوا في مراتب اجتماعيةً عليه ، دائماً في حزنٍ شديد .

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

[الجامع الصغير]

لم يرزقه الله أولاداً ذكوراً ، فهو في غمٍ مستمر .

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

[الجامع الصغير]

لم ينجب أولاداً البتة ؛ كان عقيماً ، قلبه يكاد يتفطر ألماً .

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

[الجامع الصغير]

يسكن بيتاً صغيراً ، دخل إلى بيتٍ واسع فأصابه حزنٌ شديد ، لهذا البيت القميء الذي يسكنه .

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

[الجامع الصغير]

لو عرفت ما في الآخرة من نعيمٍ مقيم ، لو عرفت مقعد الصدق عند مليكٍ مقتدر ، لو عرفت المكان الكريم الذي يحتله المؤمن يوم القيامة ، لو عرفت العطاء الذي يعدك الله به ، لو عرفت ما عند الله ، ما ندمت على شيءٍ فاتك من الدنيا .

وسيدنا الصديق ، رضي الله عن الصديق ، قرأت عنه كلمةً تركت في نفسي أثراً بليغاً ، قرأت عنه : أنه ما ندم على شيءٍ فاته من الدنيا قط . أبداً لأن الدنيا زائلة ، عرضٌ حاضرٌ يأكل منه البر والفاجر ، كن في الدنيا كأنك غريبٌ أو كأنك عابر سبيل ، كن في الدنيا كأنك مسافر ، ما لي وللدنيا .

مر النبي عليه الصلاة والسلام مع أصحابه بشاةٍ ميتة ، فقال لأصحابه الكرام :

((أترون هذه الشاة هينة على أهلها ؟ قالوا : من هوانها ألقوها . قال : والذي نفسي بيده

للدنيا أهون على الله من هذه الشاة على أهلها))

[تخريج أحاديث الإحياء]

إن الله يعطي الدنيا لمن يحب ولمن لا يحب ..

﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ

أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٧٦]

ربنا سبحانه وتعالى يقول :

﴿ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا ﴾

[سورة يونس الآية : ٥٨]

يفرحوا بالعمل الصالح ، ليفرحوا بالقربى من الله عز وجل ، ليفرحوا بالاستقامة على أمر الله ، ليفرحوا بطاعة الله ، أما إذا فرحوا في الدنيا فهم من أصحاب الأفق الضيق ..

﴿ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٧٦]

﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾

[سورة التوبة الآية : ٨٢]

الذين كفروا :

﴿ نُمِتَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضَطْرَهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾

[سورة لقمان الآية : ٢٤]

قال :

﴿ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾

[سورة البقرة الآية : ١٢٦]

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّاقْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ * إِنْ تَنْفَرُوا يُعَذِّبْكُمْ ﴾

[سورة التوبة الآيات : ٣٨-٣٩]

هذه مصيبة ..

﴿ وَلَوْ أَنَّ تُصِيبُهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

[سورة القصص الآية : ٤٧]

أيها الإخوة المؤمنون :

((لو تعلمون ما ادخر لكم ما حزنتم على ما زوي عنكم))

لو تعلمون ما بعد الموت ، لذلك قال سيدنا علي كرم الله وجهه :

الغنى والفقير بعد العرض على الله .

والغنى والفقير مطيتان إلى الله ، لا أبالي أيهما امتطيت .

الغنى يوصلك إلى الله عز وجل بتواضعك ، وسخائك ، وفعلك المعروف ، والفقير يوصلك إلى

الله عز وجل بصبرك ، وعفتك ، وتجملك ، مطيتان إلى الله عز وجل .

((لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً))

((لو تعلمون ما أنتم لاقون بعد الموت ما أكلتم طعاماً على شهوةٍ أبداً ، ولا شربتم شراباً على شهوةٍ أبداً ، ولا دخلتم بيتاً تستظلون به ، ولمررتم إلى الصعدات تدمون صدوركم وتكون على أنفسكم))

[كنز العمال]

لو تعلمون ..

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ * ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ * ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴾

[سورة التكاثر الآيات : ٥-٨]

لو تعلمون الذي يحاسب على كل صغيرة وكبيرة ما خرجتم عن أمره قيد أنملة .
رجلٌ اغتصب درعاً ، فتأمّله ، فرأى عليه بيتين من الشعر :
إذا جار الأمير وحاجباه وقاضي الأرض أسرف في القضاء
فويلٌ ، ثم ويلٌ ، ثم ويلٌ لقاضي الأرض من قاضي السماء
* * *

وقع مغشياً عليه ، وذهب إلى مكة المكرمة ليطوف بالبيت ، وجعل يقول : ربي اغفر لي ذنبي
ولا أظنك تفعل ، فقال من سمعه : يا هذا ما أشدّ يأسك من رحمة الله؟! قال : ذنبي عظيم .
لو تعلم الذي يحاسب دقة حسابه ، ما خرجت عن أمره قيد أنملة ، ولكنه الجهل ..
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴾

[سورة فاطر الآية : ٥]

الشیطان يقول لك : لن يحاسبك ، يقول لك كلاماً يؤدّي إلى أن تبقى على معصية الله .
((لو تعلمون ما في الصف الأول ما كانت إلا قرعة))

[الجامع الصغير]

في الخطب ، وفي مجالس العلم ، وفي المساجد ، وفي الصلوات الخمس ، لو تعلمون ما في الصف الأول من الخير ما كانت إلا قرعة .

((لو تعلمون من الدنيا ما أعلم لاستراحت أنفسكم منها))

[الجامع الصغير]

لأنها تغر ، وتضر ، وتمر ، الدنيا دار من لا دار له ، ولها يسعى من لا عقل ، خذ من الدنيا ما شئت وخذ بقدرها هما ، من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ من حتفه وهو لا يشعر .
((لو تعلمون ما في المسألة ما مشى أحد إلى أحد يسأله شيئاً))

[الدر المنثور في التفسير المأثور]

((لأن يأخذ أحدكم أحبله فيحتطب به خيرٌ له من يسأل الناس أعطوه أو منعوه))

[الجامع الصغير]

كان الصديق رضي الله عنه يركب راحلته وكان خليفة المسلمين ، وقع ذمام الناقة على الأرض فنزل وأخذه ، عاتبه أصحابه : يا خليفة رسول الله تكفيك ذلك . قال : أمرني حبيبي عليه الصلاة والسلام ألا أسأل الناس شيئاً .

((لو تعلمون ما في المسألة ما مشى أحد إلى أحد يسأله شيئاً))

[الدر المنثور في التفسير المأثور]

((لو تعلمون ما أعلم لبيكنم كثيراً ولضحكنم قليلاً))

[كشف الخفاء]

يظهر النفاق ، وترتفع الأمانة ، وتقبض الرحمة ، ويتهم الأمين ، ويؤتمن غير الأمين هكذا أخبر النبي عليه الصلاة والسلام عن بعض أشرار الساعة .

لو تعلمون قدر رحمة الله عز وجل لا تكلتم عليها ، ولكن الله سبحانه وتعالى يريكم من شدته ورحمته في وقت واحد ، لعلكم ترغبون وترهبون ، لعلكم تحبون وتخشون .

سيدنا أبو ذر لقي سيدنا عمر رضي الله عنه قال :

يا خليفة رسول الله هاب الناس شدتك .

فقال :

يا أبا ذر لو يعلم الناس ما في قلبي من الرحمة لأخذوا عباةتي هذه .

ولكن هذا الأمر لا يناسبه إلا كما ترى .

* * * * *

زيد بن حارثة :

أيها الإخوة الأكارم ... إلى قصة قصيرة قصيرة تتبئكم عن حقيقة الإيمان .
كلكم يعلم أن سيدنا زيد بن حارثة كان غلاماً عند النبي عليه الصلاة والسلام ، وقد قدمته السيدة خديجة له ، وفي موسم من مواسم الحج قصد البيت الحرام نفر من قوم زيد ، وفيما كانوا يطوفون بالبيت العتيق إذا هم بزيد وجهاً إلى وجه ، فعرفوه وعرفهم ، وسألوه وسألهم ، ولما قضوا مناسكهم — هذا قبل الإسلام وقبل بعثة النبي العدنان — وعادوا إلى ديارهم أخبروا حارثة والده ، بما رأوا وحدثوه بما سمعوا ، وقال زيد رضي الله عنه لهم : أخبروا أبي أنني مع أكرم والد ، هكذا النبي كان يعامله .

فما أسرع أن أعد حارثة راحلته ، وحمل معه المال ما يفدي به فلذة كبده وقررة عينه ، وصحب معه أخاه كعباً ، وانطلقاً معاً ، باتجاه مكة ، فلما بلغاها ، دخلا على محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم — قيل البعثة ، قيل أن يكون نبياً — وقال له :

يا عبد المطلب أنتم جيران الله تفكون العاني ، وتطمعون الجائع ، وتغيثون الملهوف ، وقد جنناك في ابننا الذي عندك ، وحملنا إليك من المال ما يفي به ، فامنن علينا وفاده بما شئت من المال . فقال محمدٌ صلى الله عليه وسلم : ومن ابنكما الذي تعنيان ؟

فقالا : غلامك زيد بن حارثة .

فقال : وهل لكما فيما هو خيرٌ من الفداء ؟

فقالا : وما هو ؟

قال : أدعوه لكم ، وأخيره بيني وبينكم ، فإن اختاركم فهو لكم بغير مال ، وإن اختارني فما أنا والله بالذي يرغب عما يختاره .

فقالا : لقد أنصفت وبالغت في الإنصاف . من دون مال ، من دون فدية .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم زيدا وقال :

من هذان ؟ هذا الاحتياط ، وهذا الذكاء ؟

فقال : هذا أبي حارثة بن شرحبيل ، وهذا عمي كعب .

فقال : قد خيرتكَ إن شئت أقمت معهما وإن شئت أقمت معي .

فقال من غير إبطاءٍ ولا ترددٍ : بل أقيم معك ، وما أنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت الأب والعم والأم .

فقال أبوه : ويحك يا زيد أتختار العبودية على أبيك وأمك؟!!

فقال زيد : إني رأيت من هذا الرجل شيئاً ، أنساني أبي وأمي ، وما أنا بالذي يفارقه أبداً . عندئذٍ خرج النبي عليه الصلاة والسلام إلى السوق وقال : اشهدوا أن زيدا ابني حقاً ، أرثه ويرثني .

وعندها صار يسمى سيدنا زيد : زيدا بن محمد ، إلى أن جاءت آية التنبؤ وألغت التنبؤ ، فعاد اسمه زيد بن حارثة ، كان حب رسول الله ، وعرف أصحاب النبي أنه يحبه حباً جماً ، فقد غبطه على هذه المحبة أقرب الناس إلى النبي عليه الصلاة والسلام .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا ، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم ، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا وسيتخطى غيرنا إلينا فلنخذ حذرنا ، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها ، وتمنى على الله الأمانى .

والحمد لله رب العالمين

الخطبة الثانية :

الحمد لله رب العالمين ، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين ، وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صاحب الخلق العظيم ، اللهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين .

أيها الإخوة المؤمنون ؛ قرأت في موسوعة عن الطيران جملةً اهتزت لها مشاعري ، موسوعة علمية عن الطيران ، عن الطائرات ، مكتوبٌ في هذه الموسوعة :
أنه ما من طائرةٍ صنعها الإنسان ، ترتقي إلى مستوى الطير ، أو تجرؤ على أن تقترب منه . فالطيور التي خلقها الله سبحانه وتعالى ، هكذا قال :

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾

[سورة الملك الآية : ١٩]

فالطيور ، من أكثر مخلوقات الله جمالاً ، ومن أجملها نغماً ، ومن أكثرها استحواذاً على الإعجاب ، توجد في كل بقعة من بقاع العالم ، في أطراف المناطق القطبية ، إلى قمم الجبال الشامخة ، إلى أكثر البحار هيجاناً ، إلى أكثر الغابات ظلمةً ، إلى أكثر الصحارى عُرباً ، إلى أكثر المدن ازدحاماً ، في أي مكانٍ على وجه الأرض ، تجد الطيور .

عدّ العلماء حتى هذا التاريخ من أنواع الطيور ما يزيد عن تسعة آلاف نوع ، تسعة آلاف نوع من أنواع الطيور ، وقد زود الله سبحانه وتعالى الطير بوزنٍ خفيف ، يعينه على الطيران ، وأكياسٍ هوائية ، منتشرة في كلِّ أماكن جسمه ، تخفف من وزنه ، وتبرّد عضلاته الحارة ، من شدة الخفقان ، وجعل عظامه مجوّفة ، وجعل ريشه ، لا وزن له ، ليعينه على الطيران ، وجعل الطير يتمتع بميزاتٍ يحتاجها في طيرانه .

فهو يتمتع بقوة البصر ، بل إن قوة بصر بعض الطيور تزيد عن قوة إبصار الإنسان ، ثمانية أضعاف ، إن بعض أنواع الطيور ، يرى فريسته على بعد ألفين من الأمتار . والعين عند الطائر أيها الإخوة الأكارم أكبر حجماً من مخه ، وتستطيع أن ترى دائرةً تامّةً ، الإنسان يرى مئة وثمانين درجة ، حينما يدير وجهه ورأسه تتسع هذه الدرجات ، لكنّ الطائر مزوّد بعينين جانبيتين ، تمسحان الدائرة بأكملها .

والطائر أيها الإخوة ؛ له سرعةٌ تزيد عن مئة وثلاثين كيلو متراً في الساعة ، وبعض أنواع الطيور يقطع ستة آلاف كيلو متر من دون توقّف ، ستة وثمانين ساعة طيران بلا توقّف يقطعها الطير ، أية طائرةٍ تقطع هذه المسافة ، ستة وثمانين ساعة من دون توقّف ؟ ومن دون تزوّد بالوقود ، أو بالطعام ، أو بالشراب ؟

﴿ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَاتٍ وَيَقْبِضْنَ ﴾

[سورة الملك الآية : ١٩]

وفي كل شيء له آيةٌ تدلُّ على أنه واحد

اللهم اهدنا فيمن هديت ، وعافنا فيمن عافيت ، وتولنا فيمن توليت ، وبارك لنا فيما أعطيت ،
وقنا واصرف عنا شر ما قضيت ، فإنك تقضي بالحق ولا يقضى عليك ، اللهم أعطنا ولا
تحرمننا، أكرمنا ولا تهنا ، آثرنا ولا تؤثر علينا ، أرضنا وارض عنا ، اللهم صن وجوهنا باليسار
ولا تبذلها بالإقتار ، فنسأل شر خلقك ، ونبتلى بحمد من أعطى ، وذم من منع ، وأنت من فوقهم
ولي العطاء ، وببيدك وحدك خزائن الأرض والسماء .
اللهم اهدنا لصالح الأعمال لا يهدي لصالحها إلا أنت ، واصرف عنا شر الأعمال لا يصرفها
عنا إلا أنت .

والحمد لله رب العالمين